نشاط إرسالية جمعية مرسلي الكنيسة في شمال أفريقيا مصر نموذجاً

1869 ـ 1956

د. عاصم حاكم عباس الجبوري
مدرس،قسم التاريخ،كلية التربية،جامعة القادسية

المقدمة

تتمعن هذه الدراسة في الدور الذي مارسته الهيئة التبشيرية للكنسية البريطانية في مصر من خلال تبشيرها بين ديموغرافية مصر السكانية وعلاقاتها بالإمبريالية البريطانية، فالتواجد الديني البريطاني في مصر تحدد في عاملين هامين، تطور التجارة بين أوربا الغربية والشرق الأدنى، حيث الطلب البريطاني للقطن المصري في القرن التاسع عشر أدى إلى مجيء أعداد كبيرة من رجال الأعمال للسكن في مصر. اضافة الى فتح قناة السويس في 1869 الذي أعطى قيمة ابعد للمتاجرة مع مصر، وإلى زيادة أهميتها الإستراتيجية.

ساعد هذان العاملين على تكوين أقلية انكليكانية في مصر ، سعت إلى تكوين هياة تهتم بمصالحها الدينية والدنيوية عرفت بمنظمة المغتربين التجارية، والتي بدورها غذت الجوانب الروحية لدى الجاليات الأجنبية وخاص البريطانية منها، ببناء كنيسة مشابهه لكنائس الأسقفية البريطانية، وكنيستهم كانت بمثابة نادياً ترفيهاً تتجمع فيها اسر الجاليات الأجنبية، وعند قيام الحرب العالمية الثانية أصبح النادي مكاناً لتجمع قوات الحلفاء.

أما الدافع الأخر وراء تطور الكنيسة الانكليكانية في مصر فقد تحدد بالتبشير

نفسه، ففي وأخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر حصل تطور هائل في المصالح الغربية تجاه النشاط التبشيري حول العالم وخصوصا في أفريقيا والهند، عندما تحول الاهتمام إلى الشرق الأدنى فكانت حصيلة التقييم الفوري الوجود المسيحي في المنطقة والذي مثل بقنواته الطبيعية الكنائس الشرقية القديمة.

والدراسة بشكل خاص قراءة في رسائل المبشرين البريطانيين وتقاريرهم التي بعثوها إلى مركز إرساليتهم في لندن، وجاءت في محورين:

المحور الأول : تأسيس إرسالية جمعية مرسلي الكنيسة CMS في مصر وإصلاح الكنيسة القبطي.

المحور الثاني: تداخل العمل التبشيري والسياسة البريطانية في مصر.

المحور الأول: تأسيس إرسالية جمعية مرسلي الكنيسة CMS في مصر وإصلاح الكنيسة القبطي.

اعتقد المبشرون الغربيون أن بإمكانهم أحداث نهضة فكرية إصلاحية في عقائد الكنائس الشرقية والعودة بها إلى معرفة الكتاب المقدس الذي أهملوه حسب اعتقادهم حتى «تنزل الرحمة الإلهية عليهم»[1]، بيد انه كان هناك وجه آخر للصورة خفف من حدة الاتجاه الرامي إلى إطلاق العنان للمبشرين البروتستانت المندفعين لكي يحولوا ويشكلوا من جديد الكنيسة القبطية دون اكتراث بالعواقب الأخلاقية. لقد كان المصريون القبطيون المنتمون إلى الطبقات المهيمنة يتمتعون بمشاعر أخلاقية قوية مع إحساس شديد بالمسؤولية الاجتماعية تجاه كنيستهم، وكانت المسؤولية الاجتماعية والبر والإحسان في الواقع دروسا تلقن إلى جانب أخلاقيات العمل وتلطف من نزعتها الفردية[2].

ومنذ العقود الوسطى في القرن التاسع عشر عندما أصبح توسع عالم الإعمال قضية كبرى، اتجه المزاج البريطاني نحو فرض الحماية على مصر سنة 1882، وهكذا فان العصر المموه بالذهب لإرسالية جمعية مرسلي الكنيسة[3] (cms قد بدء، إذ شجعت قضية ستار الحماية الدولية CMS للبحث عن دور أعظم له في مصر فبادرت في السنة نفسها بإرسال القس كلاين F.A.Klein لتوسيع عمل الإرسالية، وتنشيط دور الإنجيليين البروتستانت الذين تم الاعتراف بهم كطائفة مستقلة في مصر بموجب فرمان من الباب العالي استصدر سنة 1850 بجهود السفير البريطاني في استانبول[4].

وعند وصل كلاين إلى القاهرة في

السادس عشر من كانون الأول سنة 1882 انظم إلى الأنسة واتلي Whately التي كانت تعمل بين الفقراء في القاهرة، فأسسا مكتبة لجذب القراء المسلمين، وبعد وفاة واتلى سنة 1889، وصلت مجموعة من النساء المبشرات عملن في التدريس والتمريض، ولتعزيز كادر الإرسالية نقل الدكتور فرانك هاربر .Frank J Harpur من عدن إلى مصر ليكون أول طبيب من إرسالية CMS يمارس مهنة الطب في القاهرة القديمة وفما بعد في القناة، مع ذلك بقي عمل الإرسالية في مصر متواضعا جدا حتى انه لم يتعدى أسوار الكنيسة لكن كل شيء تغير بمجيء القس كاردنر W.H.T.Gairdner سنة 1899[5].

يبدو أن كاردنر، الذي كان اسمه الأصلي وليم تامبل، لم يتبنى لقب القس حتى سنة 1885 عندما دخل كلية أللاهوت في كامبردج، وهو لقب يشير طبعا إلى أن حامله ينحدر من طبقة رجال الدين وكان والده قس أيضا[6].

ربما كانت طبيعة كاردنر، وبقدر ما كانت مواهبه في تعلم اللغة العربية ولقاء خطابات بها، هي التي جعلت منه رجلاً خطيراً، وفي رأي كرومر Avelyn B.Cromer " رجلاً مبدئياً، دوغمائياً، فعالا،.....وشديد الطموح "[7] وفي سنة 1912 درّس كاردنر العربية للمبشرين في مقر الإرسالية في القاهرة ونادى في كتابه (اللغة العامية العربية المصرية) إلى أهمية إتقان المبشرين اللغة العربية واعتبارها المفتاح الأمثل نحو التحول إلى المسيحية، وأضاف في كتابه (أصوات العربية) المنشور في سنة 1925 إلى معاملة المسلمين بمثل ما تحب أن يعاملوك به [8]. وقد مكنته مؤهلاته اللغوية من التحاور مع المسلمين في محيط عمله التبشيري، وساعدته وزميله دوكلص ثورنتون Douglas Thornton في البحث عن الشعور والانطباع الايجابي للعقيدة المسيحية اكثر من أي جانب أخر، وأشار إلى احتياجهم لنغمة أغنية جميلة في رسالتهم إلى المسلمين وليس نغمة جافة ممشوقة بالجدال والنزاع بل أغنية فرح وسرور، يبدو أن كاردنر أكتشف حب المصريين للنغم فحاول استغلاله.

استعمل كاردنر الموسيقى والدراما والشعر والصور، بالإضافة إلى المقالات لتمثيل العقيدة المسيحية، وضغط على رئيس جمعية مرسلي الكنيسة للحصول على مطبعة تعمل بالحروف العربية ونزولا عند رغبته زود بمطبعة، استخدمها في تحرير مجلة أسبوعية عرفت بمجلة الشرق والغرب وحققت تلك المجلة شهرة واسعة في المشرق العربي[9].

وفي خضم العمل التبشيري شعرت جمعية مرسلي الكنيسة بان إرساليتها في مصر بدت بحاجه ماسة لعضو كفوء يكون لكاردنر عوناً في تنظم شؤون العمل المسيحي فألحقت به كونستانس بدوك Constance Padwick

سنة 1922. وفي الوقت نفسه حددت جمعية مرسلي الكنيسة السياسة الدينية لمنتسبيها في مصر بان هدفهم الأساس أصلح الكنيسة القبطية، وتحاشي تحويل الأقباط إلى المذهب البروتستانتي في الوقت الحاضر، حتى يتسنى للبريطانيين تثبيت وجودهم العسكري هناك[10]، وتأسيسا على فكرة التعدد وعملا بمبدأ "فرق تسد" احتلت إشكالية الأقليات ركنا أساسيا في الفكر والعمل الاستعماري البريطاني، وقد حظي الأقباط باهتمام كل من حاول توظيف "خصوصيتهم" في خدمة الأهداف الاستعمارية.

لوحظ إن مواقف وأقول المفكرين وصناع القرار التبشيري وان بدت متمايزة، بل ومتضاربة في كثير من الأحيان، ألا أنها برغم تباينها الظاهر على السطح استهدفت جميعها غاية واحدة من خلال ثلاثة انساق: شق الصف الوطني بفصل الأقباط عن المسلمين، وتفتيت وحدة الأقباط بتحويل بعضهم للبروتستانتية واستقطاب المع نخبهم عن طريق العلمانية، واختراق الكنيسة القبطية التي استعصت على محاولات الهيمنة الأجنبية طوال قرون.

وبقدر ما يمكن أن نجمع من معلومات المصادر القليلة المتوفرة لنا، يبدو أن هناك طابعا سيطر على تفكير كاردنر هو أصلاح الكنيسة القبطية ثم الانتقال التدريجي نحو نصرانية المسلمين: لأنه فشل في خلق حالة من الانسجام الكنسي القبطي- البروتستانتي سنة 1921، ووجد إن سياسة الجمعية المقترحة غير قابلة للتطبيق، وان الممانعة القبطية باتت تؤثر على نشاط الإرسالية في مصر وجمع زملائه وأعلن "يجب علينا عدم الاستمرار على هذه الحالة. وفي الحقيقة يجب علينا التقدم أو الخروج"[11].

مع ذلك كان كاردنر غير راض عن هذا النوع من العمل التنظيمي، وكانت الرغبة التي تتأجج في طوايا نفسه بان الكنيسة الانكليكانية مع منتسبيها تعد ضرورية على المدى القصير وهذه الضرورة نبعت من إن السياسة التبشيرية لجمعية مرسلي الكنيسة في نهاية القرن التاسع عشر كانت تخضع لتأثيرين لا يتماشى احدهما مع الأخر إلى حد ما. فمن ناحية، ونظرا للظروف الاقتصادية العامة، كان على المبشرين أن يوفروا في إنفاقهم، ومن ناحية أخرى فقد كان المبشرون البريطانيون يكرهون التخلي عن المقاليد الرئيسة في التبشير للأمريكيين×، ولكن طبقاً لتصريحات كونستانس بدوك لم يمتلك كاردنر رؤية تفحصية تجاه العمل التبشيري، ولم يحلم هو نفسه بان تكون تلك الطريقة النهائية للحياة والعبادة المسيحية في مصر[12].

وعلى الرغم مما ذكره كاردنر، فان مجتمع انكليكاني صغير بدء يظهر وينمو في القاهرة وكان الأمر من وجهة النظر المسيحية أو قل

البريطانية أمراً لا ريب خيراً، إذ أن الغاية التي جعلوها نصب أعينهم لم تكن إلا نشر المسيحية البروتستانتية في مصر، لذلك تم أقرار عملية الاستمرار في النشاط التبشيري بطريقة النظام الإصلاحي أي اختراق الكنيسة القبطية من خلال المهتدين من أعضائها.

وفي 1923 كتب كاردنر مسودة مشروع عمل نال استحسان ومصادقة رئيس أساقفة كانتربوري Canterbury.

واعتمدت السياسة الجديدة على استرضاء كبار رجال الدين الأقباط، وتقديم خدمات خاصة لهم بصورة تجعل المبشرين ذوي قدر كبير لدى من بيدهم التأثير، وكان لابد للقيام بهذا الواجب من دارسة لغة البلاد وآدابها وعاداتها والتماشي مع حياة الدوائر التي يأملون العيش بينها، فضلا عن آداب اللياقة فيها، ونصب كاردنر نفسه لأداء هذا العمل، ففي 1924 التمسا من جمعية مرسلي الكنيسة تعيين المسيحي المصري جرجس بشيل شماسا في الكنيسة الانكليكانية وجعله قسا في السنة التالية، برغم ذلك لم تسعف الأقدار كاردنر على تحقيق مطامحه إذ توفي في 22 مايس 1928[13].

وفي الوقت ذاته بدا إن مزيد من المبشرين البريطانيين كانوا على استعداد للتجمع حول قضية إسعاف الإرسالية البريطانية في مصر وإنقاذها من تهديد الكنيسة القبطية التي باتت ترى أن الوجود البريطاني الديني والسياسي في مصر يتهدد كيانها الخاص.

وفي هذا الميدان العام هاهنا كان تعيين للولين كولين Lieweiwyn Gwynne خلفاً للقس المتوفى أكثر فعالية من حيث الجوهر وأصبح "التطور الارتقائي" الرمز الرئيس لمجموعة كاملة من التغييرات الاجتماعية التي وجدها المبشرون منذرة بالسوء. وكان نجاح الحملة الارتقائية يدين بالكثير إلى قيادة كولين الذي كان دائما خطيبا بارعا، وأحرزت حملاته اكبر نجاح لها في التأثير على الكنيسة القبطية، ولم يستمر نجاحه طويلا إذ سرعان ما أقحم الإرسالية في أتون الحرب العالمية الثانية عندما جعل مراكز عمل الإرسالية مقرا لقوات الحلفاء. وشعرت الأوساط الوطنية بقدر كبير من الهلع إزاء الاتجاه الديني السياسي الذي تبنته الإرسالية البريطانية وكان ينظر إليها وكأنها تدعوا إلى الرجوع بمصر إلى ما قبل الفتح الإسلامي[14].

وفي صيف1941 بلغت الأزمة ذروتها في مشهد جرى أعداده بأفضل الصور من اجل إسباغ الطابع الدراماتيكي المثير على التوترات القائمة بين الثقافة الإنجيلية القديمة التي ترفض مبدأ المزاوجة السياسية ونظرة القرن العشرين الجديد الأكثر علمانية في طابعها، اذ تطوع قادة إرسالية CMS للدفاع عن المصالح البريطانية في مصر فحرج موقف المصريين البروتستانت وخلقت هذه الإحداث الانطباع القائل إن البروتستانتية الإنجيلية في

مصر أخذت بالانقراض والواقع أن المراقبين للأحداث خلال عقد الأربعينيات تحدثوا عن كساد ديني بريطاني بسب وجود قدر من الانحدار في أعضاء إرسالية CMS في مصر. بينما كان كولينى يتنقل بين جيوش الحلفاء، كانت جمعية مرسلي الكنيسة ذاتها تقيم سياساتها المستقبلية وفق ظروف المرحلة الجديدة ومثلت له الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين العصر الذهبي للمناطق العرقية الحضرية البروتستانتية، وبطبيعة الحال لم يكن كل شيء على ما يرام. إذ وجد الخلاف والتنافس في أوساط الجماعات البروتستانتية في مصر، ولم يبذل كولين جهدا ذا قيمة لمنعه[15]. فتراجع بذلك مشروع أصلاح الكنيسة القبطية الذي كان الهدف الرئيس لتأسيس إرسالية جمعية مرسلي الكنيسة.

المحور الثاني: تداخل العمل التبشيري والسياسة البريطانية في مصر

رغبت جمعية مرسلي الكنيسة وضع نظام الإدارة الوظيفية لها في مصر تحت سيطرة الكنيسة على نطاق أوسع، بالإضافة إلى علاقاتها مع بريطانيا ونفوذها السياسي في البلد. وكان من المأمول في سنة 1882 أن 'معاهدات الحماية' توفر قدرا أكبر من الحرية للنشاط التبشيري، مما كان قائما من قبل، فالواقع أن بريطانيا تجنبت أي تحيز ديني قد يزيد من تعقيد سيطرتها على البلاد الذي تسكنها غالبية مسلمة، لذا اضطر المبشرون في حصر أنشطتهم بشكل رئيس بين عمال الخدمة من المسلمين، وكان التعليم جزء كبير من ذلك الشاهد. وفي الوقت ففسه شكل المبشر موريسون S.A. Morrison لجنة للاتصال بين الإرسالية والحكومة المصرية وللضغط عليها بشأن التعليم ومسائل أخرى. وكان ذلك في كثير من الأحيان يحدث بحضور الوزير المفوض البريطاني، الذي تمتع بنفوذ كبير لدى الحكومة المصرية. وخلال مفاوضات معاهدة 1936 بين بريطانيا ومصر، مثل موريسون جانب الإرسالية بين الفريق المفاوض حيث أثار مخاوفه من قضية تامين الحماية للأقليات الدينية [16]، بما يكفل لها حرية التعبير عن العقيدة. وهذا مهم بصورة خاصة لمدارس المسيحية التي تدار بواسطة CMS، لكن الحكومة المصرية أصرت على حصر نطاق عمل المنظمات التبشيرية على التعليم فقط وتحاشي تغير ديانة الطلبة. ورغم حساسية القضية أبدى السير مايلز Lampson ، المندوب السامي البريطاني استعداد لإسقاط هذه القضية من أجل تأمين المعاهدة، على أمل التفاوض على قضية حرية الأقليات عند مساعدة مصر في انضمامها لعصبة الأمم.

لقد بدا واضحا في بداية المفاوضات عدمٍ وجود أية بارقة أمل في تضمين المعاهدة بنداً يعطي حرية وحماية كاملة للأقليات، لكن

السير مايلز المندوب السامي البريطاني في مصر أفصح بأن وزارة الخارجية البريطانية، ووزارة الخارجية الأمريكية تلحان على الحكومة المصرية على أدراج أحكاما مماثلة تتناول حقوق الأقليات كتلك الموجودة في المعاهدة التي أدخلت العراق في عصبة الأمم سنة 1932 [17].

وليس ثمة شك إن المفاوضات في مونترو في مايس 1937 حول دخول مصر عصبة الأمم ومسألة الأقليات كانت تؤثر على توقيع المعاهدة، في وقت كان القس موريسون عضو إرسالية CMS في مصر يمثل جانب المبشرين طيلة فترة المفاوضات، والذي حرص على أن تنص المعاهدة مع مصر على "جميع أعضاء المجتمعات المسيحية لهم الحق في الاستمتاع بالطمأنينة التامة في أشخاصهم وأملاكهم وحرية ممارسة طقوسهم الدينية" وهكذا لم تتماشى المسيحية فقط مع أوربا جنبا إلى جنب، بل أصبحت مصلحة دبلوماسية هامة للدول الغربية في عدوانها على شمال أفريقيا، وتدَّثر المبشرون بالامتيازات القضائية ومنحوا الحق في اللجوء إلى قناصلهم وسفرائهم في كل ما يتصل بالمصالح الدينية للمصريين المسيحيين وقد اظهر التاريخ فيما بعد أن شيئا لم يكن أعود بالمضرة البالغة بمصالح كنيسة المسيح، وهكذا بينما كان الفيض المسيحي يغمر أفريقيا كانت أبواب مصر لا تزال مغلقة، إذ أحجم الوفد المصري المفاوض في جنيف عن أعطاء أي تنازل بخصوص حرية الأقليات "حرية التبشير" [18].

عموما انه من غير المعقول لم يكن لبريطانيا ما يكفي من النفوذ على مصر لتأمين هذه الضمانات، إلا أنها لم تعمل بما فيه الكفاية وتجعل هذا الشيء من أولوياتها لتحقيقه، على الرغم من أن بريطانيا بلد مسيحي ومنشئ للكنيسة، لكنها بدت ميلها في التضحية بمصالح المسيحيين في مصر، بما في ذلك أعضاء الكنيسة الانكليكانية هناك من أجل تأمين توقيع المعاهدة مع الحكومة المصرية، ومن ناحية أخرى لم تكن الكنيسة البريطانية على انسجام دائم مع مصالح الحكومة البريطانية. فقد احتفظ الموظفين بموقف الحياد وان الحكومة البريطانية الساهرة على الدوام على كل ما يؤثر في القانون والنظام وولاء العناصر التي يعتمد عليها حكمها، كانت لا تشجع أية وسيلة دعاية تسخط مشاعر المسلمين. فواحدة من دواعي السخط على المبشرين البريطانيين في مصر اتهام وسائل الإعلام لهم بأنهم عملاء الامبريالية البريطانية وجنودها، وبغض النظر عن التقلقل الناشئ عن ذلك الترويج الهائل كان لحزب الوفد علاقة مباشرة بما شاع في عقول الشعب المصري تجاه المبشرين، لاستمالة المشاعر ولتنامي النزعة القومية داخل مصر [19].

وهكذا فقد وجد موريسون أن من أهم الآثار المترتبة على توقيع معاهدة 1936

"تحرير المبشرين من التهمة التي ترافقهم دائماً كعملاء للقوى المهيمنة[20] والتي يمكن لها إن لا تستمر عندما توجد أرضية مشتركة مع الفكر المصري العام تجاه السياسة الامبريالية لبريطانيا العظمى، حيث أن الإرساليات سوف تكسب كثيراً عند أنعتاقها من التأثير البريطاني" [21].

ولم يرض المبشرون عن المبالغات المفرطة التي ذهب إليها موريسون، بيد أنهم ميالين أن يبحثوا في فرصة ينتهزونها، لتقديم الدعم العملي لحكومتهم التي تمنحهم مساعدات عظيمة ولكن بطريقة غير مباشرة، وتحقق لهم ذلك عندما أبلغتهم السفارة البريطانية بمراقبة الحياة الاجتماعية في مصر والتحري عن تطور الحركة الشيوعية المتنامية هناك، وفي أحد تقاريره أشار موريسون إلى الخوف على نطاق واسع في أوساط النخبة المصرية من الثورة الشيوعية [22].

في سنة 1950، شعر موريسون أنه يتعين عليه الوقوف إلى جانب الدول الغنية والقوية عن طريق مساعدة السفارة البريطانية في ما تبذله من جهود لمعارضة الشيوعية في مصر[23]، في العام التالي ذهب أبعد من ذلك "من المفيد معرفة إن قسم النشر والإعلام في السفارة البريطانية نشر خمسة آلاف نسخة كراس باللغة العربية ضد الفكر الشيوعي وقد تكفل مبشري CMS في توزيعها" [24].

هذا في وقت كان فيه الاضطراب الغربي حول الشيوعية قد بلغ أوجه، والكثير من المسيحيين وبضمنهم موريسون اعتقد أن من واجبهم معارضتها أيضا. ولكن هذا الادعاء في التدخل في الشؤون الداخلية المصرية يكون خطيراً جداً على أي مبشر، إذ يتهم المبشرين بأنهم عملاء لقوى أجنبية، متناسين الإعمال الحميدة التي قدمتها إرسالية CMS في مجالات مثل التعليم والصحة.

ولاشك إن تغير الأحوال السياسية في مصر سنة 1950 حفزت المبشرين في مراقبة الحياة السياسية في مصر وتقييمها، في وقت لاحظ موريسون أن المناخ العام لعمل المبشرين أصبح ذا فسحة من الراحة[25]، وإن فشل الهجوم العربي على إسرائيل أضعف فكرة الوجود ضمن الكتلة العربية الإسلامية، وشجع مصر للميل بنفسها إلى القوى الغربية، إلى جانب زيادة قوة الإخوان المسلمين قد أبانت خطر تنامي القومية الإسلامية المتطرف، بالإضافة إلى قلق الحكومة المصرية من تعاظم النفوذ الشيوعي، لكن اختلاف السباق الديني مع صلات قوية مع الغرب أمر يبدو مرغوبا فيه. غير إن هذا بالنسبة للكنيسة الانكليكانية كان لن يستمر.

ومع الانفتاح التدريجي كان الفشل المستمر في مفاوضات معاهدة سحب القوات البريطانية بين مصر وبريطانيا يهدد الوجود الارسالي في الصميم، ومما افرز زيادة مفرطة في المد القومي المصري، سيطرة CMS

على مؤسساتها في بيئة مضادة لبريطانيا، وبصورة متزايدة أصبح من الصعب عليهم إدارة عملهم بصورة مؤثرة في الدلتا ومنطقة القناة، حيث المشاعر المعادية لبريطانيا هي الأقوى على الإطلاق، وفيها تعرض كادر الإرسالية للمضايقة والتهديد بالقتل[26] وكان التحول في موقف الرأي العام المصري تجاه الإرسالية البريطانية في سنة 1951، إذ خرجت مظاهرات نددت بنشاط مستشفى الإرسالية في القناة، وكان احد عوامل انطلاق التظاهر استخدام واردات المستشفى في شراء أسلحة للجيش البريطاني، في حين تستخدمه بريطانيا في قتل المصرين في القناة [27].

ازدادت الحالة سوءً بحلول سنة 1952 إذ أشار تقرير الإرسالية بان "بعض موظفينا عانى من سياسة الحكومة المصرية التي شرعت قانون يمنع فيه التعامل مع الجيش البريطاني وبخلافه يعاقب المتهم بالخيانة العظمى، وتم استدعاء العمال من العمل في الشركات البريطانية إلى جانب مقاطعة البضائع البريطانية، وكذلك تم إعلام الأطباء بعدم التعامل مع الدواء البريطاني" [28].

ونتيجة لهذه التهم فقد أزالت عناوين CMS عن المراكز الرئيسة في مصر، ولكن بقيت الممتلكات الخاصة بها تحت تصرفها لفترة قصيرة، ثم أجبرت على وضعها تحت تصرف مسيحيين مصرين بروتستانت " لقد وجدنا من خلال تجربة طويلة جدا بان أذا كان عدد أعضاء الكنيسة قليل تكون هناك مشاكل كبيرة في السيطرة على مراكز الإرسالية ومن اجل تامين هذا الجهد تقوم CMS بتخويل المسحيين المحليين في أدارة مؤسساتها" [28].

وقد أتاحت هذه الإجراءات ل CMS التي تدعى لنفسها حق حماية العقيدة البروتستانتية الذريعة الضرورية بتشكيل مجلس مسيحي محلي يمكن أن يكون مستقلا عن الكنيسة الأم، ويسمح له من خلال الحرية المعطاة له أن يدير المؤسسات التبشيرية[29].

تأثر مستقبل المبشرين تأثرا خطيرا بسبب إلغاء الحرية الممنوحة لهم في ظل فرض الحماية البريطانية على مصر سنة 1882، ومراقبة المؤسسات التعليمية، ولعل القارئ يذكر أن مضمار النشاط الرئيس للمبشر في مصر كان ميدان التعليم والصحة، الذي لم يتأثر كثير بالأحداث الجارية، فقد استمرت العلاقات الحسنة بين أعضاء المستشفى البريطانيين والمصريين [30].

فقد لاحظ جيسي هيلمان Jesse Hill-man سكرتير CMS في مصر الهجمات على الممتلكات البريطانية في 26 كانون الثاني 1952 وأشار إلى " إن المراكز المسيحية التابعة للإرسالية لم تتعرض لاعتداء المتظاهرين حتى المركز القريبة جدا من المناطق التي تعرضت للتخريب، لاحترام المصريين الرموز الدينية" [31]

لكن ما لبث المصريون أن أدركوا بعد أزمة

السويس في يوليو 1956 إن المبشرين كانوا يعلقون أهمية كبرى على التعليم والصحة بوصفها المصادر التي تزودهم بالفرصة لتقويض المجتمع القبطي ومن ثم المصري عموما، وفي الوقت نفسه منتقدين الموقف البريطاني من قضية السويس، ولم يبدا لأية حركة قومية من أن تتناول هذه المسالة، وسرعان ما اصبحت تلك الحركات مصدراً لمتاعب المبشرين الذين تقيدت حركتهم كثيراً. [32]

وأخذت صيحة جميع الهيئات الوطنية تتعالى بالمطالبة بتسجيل جميع معاهد (المبشرين) الأجنبية-وأصبح "إرجاع الحقوق التعليمية" شعارا يماثل إلغاء المعاهدات غير المتكافئة وخضعت حكومة القاهرة للغليان القومي، وفي 3 آذار 1956 أصدرت تعليمات بشطب الأطباء البريطانيين من السجل الطبي المصري، ومنعهم من ممارسة التدريس في المدارس والجامعات المصرية، ولم يحدث قط إن واجهت هيئات التبشير أزمة اخطر من هذه، حتى إن المسيحيين المصرين اظهروا اشد الاهتمام إن لا يعتبروا " متخاذل أو عميل" ولا "كلاب لاهثة" وتابعة للمبشرين، ومن ثم انضموا على وجه الجملة للحركة القومية، وهكذا يتجلى انه بغض النظر عن ألوان العنف الفردي المتناثر هنا وهناك التي تعرض لها المبشرون ومعاهدهم، نشا موقف داخلي خطير رأى فيه المبشر الأجنبي انه قد تخلى عنه أتباعه النصارى المصريين. لقد كان جلياً أن أيام إرسالية CMS كانت معدودة، وبطبيعة الحال، طرح سؤال هل يجب على المبشرين الباقين مغادرة مصر؟ في الرسالة الأولى من تشرين الثاني 1956 تركت CMS هذا القرار إلى المبشرين أنفسهم ولكن أعربت عن أملها في أن يظلوا في مصر طالما سمحت لهم السلطات المصرية[33]. ووفقاً لمذكرة الثاني في تشرين الثاني، وبعد مكالمة هاتفية من ماكس وارن Max Warren ، الأمين العام لجمعية مرسلي الكنيسة CMS، مع جيسي هيلمان اخبره الأخير إن جميع المبشرين راغبون في البقاء رغم تحذيرات القنصلية البريطانية بوجوب المغادرة[34]، حيث الأحداث ادركتهم بآثارها. وبعد بضعة أيام كان هناك عدد من المبشرين من بين 713 بريطاني و740 فرنسي أبعدتهم الحكومة المصرية، إذ تمت معاملتهم بأدب، ولكن أشارت جوازاتهم بعبارة "مبعد"، وقد طلب البعض منهم تغير تلك العبارة بـ "غادر طوعاً"، ولكن رُفض طلبهم واتهموا بتورطهم بأنشطة مناهضة لمصر، "وأسقطت هذه التهم فيما بعد في بيان بعثه جمال عبد الناصر إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ألقاه ممثل مصر في الجمعية عمر لطفي في أيلول 1957".

ومن الضروري ملاحظته إن أسقف كانتربري جيفري فيشر Geoffrey Fisher ، قال إن جمعية مرسلي الكنيسة، كانت قد انتقدت إعمال الحكومة البريطانية وأصدرت لها بيان صحفي في الرابع من تشرين الثاني 1956 تأسف لما تقوم به الحكومة البريطانية تجاه مصر "نعرب عن أسفنا العميق حول الإعمال الأخيرة لحكومتنا، حتى لو تبدو

ناجحة أنياً، لكن ربما تجعل مهمة التبشير أكثر صعوبة. إذ يجب اعطاء كافة مسيحينا على هذا المسرح شيء من الطموح والتفاؤل والمناخ الفكري في الأقطار والبلدان المستقلة حديثا في آسيا، والتي تؤثر تأثيرا عميقا في أفريقيا أيضا" هذا وأشار إلى مصر "أنها تعتبر جزء من مسؤوليتنا ورسالتنا لفهم هذه التطلعات ومشاركة الآخرين في فهمهما. وموقف حكومتنا وكأنها تحاول إعادة السيطرة الغربية بالقوة سوف يكون تأثيره على وضعنا كإرثي" [35]

عكست التغيرات المثيرة التي ميزت كامل فترة أزمة السويس التوترات المصاحبة للتغير الإداري السريع، كما أدت أحيانا إلى طمس الإدارة الأجنبية للكنيسة الانكليكانية ألا أنها عملت على استمرار نشاط الكنيسة في ظل قيادة مصرية محلية. بيد إن الحكومة المصرية استولت على مستشفيات ومدارس الإرسالية جميعها، وواصل المجلس العلمي للخدمات باللغتين العربية والانجليزية في كاتدرائية الإسكندرية عمله كالمعتاد، وأيضا الكنائس في ضاحية المعادي وحلوان (ضاحية القاهرة) والسويس كانت تستخدمها الجماعات المسيحية الأخرى، بينما أغلقت في بور سعيد والإسماعيلية [36].

وبالرغم من العدوان البريطاني على مصر لم توضع حواجز أمام ممارسة الطقوس الدينية في الكنيسة الإنجيلية، وأما بالنسبة لإرسالية جمعية مرسلي الكنيسة فقد ألزمت الموظفين المصريين التابعين لها لتحمل المزيد من المسؤولية[37].

لعل الأحداث السياسية المثيرة قد عجلت تسليم ما كان ينبغي أن يكون قبل فترة طويلة، ولا يمكن أن ينتشر على مدى عدد من السنوات، والعلاقة بين بريطانيا وإرسالية الكنيسة الانكليكانية في مصر كانت حالة معقدة. تكافلية في أماكن ومتناقضة مع بعضها الآخر. في وقت تسببت الإمبريالية البريطانية في الكثير من النكسات لإرسالية الكنيسة الانكليكانية في مصر. وفي الوقت نفسه ينبغي أن نتذكر أيضا أنها ساعدت في خلق فراغ أو مجال تستطيع فيه الكنيسة إن تتطور، وكان من المتوقع إن تدفع الكنيسة ثمن أغلى لشراكتها، ولكن ربما تأخر هذا لما لها من قيمة في عملها الطبي والتعليمي. بشكل ملحوظ ، أنها لا تزال حية ومستمرة إلى اليوم لكن بصورة وطنية محلية مصرية وليست بريطانية، لتمثل جسرا بين الكنائس القديمة والمنصلحة،، ولا يزال من المشكوك فيه ما إذا كان ينبغي أن تستمر في الوجود.

الخاتمة:

إنّ الوجود البروتستانتي في مصر قد امتدّ من الغرب المسيحي نتيجة تفاعلات أفرزتها البنية السياسية والدينية في بريطانيا، فعلى الصعيد السياسي سعت بريطانيا إلى إيجاد موطئ قدم لها في السلطنة العثمانية بعد تخليصها من عدوان محمد علي باشا الذي تطاول على السلطنة واستقل بمصر فتمّ تعزيز النفوذ البريطاني من خلال صيغة كنسية للوجود البروتستنتي هي كنيسة الانكليكانية.

أما الواقع الاقتصادي الذي دفع بريطانيا هو الاهتمام بشؤون رعاياها في مصر وتجارة القطن، إلى جانب فتح قناة السويس وزيادة أهمية مصر الإستراتيجية، وقد تطور هذا الوجود كثيرا بتأسيس إرسالية جمعية مرسلي الكنيسةCMS التي سعت بجهود حثيثة نحو تحقيق ثلاثة أهداف مرحلية مترابطة: أولا: افتتاح المدارس، ويؤدي إلى الهدف الثاني وهو نشر الروح الإنجيلية في الكنيسة القبطية لتقوم بدورها في تنوير المجتمع المصري الهدف الثالث. وقد نجحت الجمعية في تحقيق هدفها الأول نجاحاً جيداً، وفي الهدف الثاني نجاحاً متوسطاً، لكنها قد أخفقت في الهدف الثالث. وفي نهاية المطاف عملت الجمعية من خلال مدارسها ومرسليها بين المسيحيين في خدمة المصالح البريطانية في مصر، وقد قاست الإرسالية الكثير من الصعوبات أثناء أزمة السويس سنة 1956، حتى أنها تخلت عن مؤسستها التي أصبحت اغلبها تحت إدارة مصرية والذي عد ابرز تطور شهدته إرسالية جمعية مرسلي الكنيسة خلال الحقبة التاريخية التي مرت بها (1869 1956-).

الهوامش----------

(*) أسّس القس الأنكليكاني كلافام سيكت (Calapham Sect) عام 1799جمعية المرسلين الكنسية، فَعُدّت منذ تأسيسها جمعية تابعة للكنيسة الانكليكانية. وشعار الجمعية وهدفها نشر معرفة الإنجيل بين الوثنيين، ولذا عُرِفَت أيضاً باسم "جمعية المُرسلين الكنسية لأفريقيا والشرق" وفي عام 1815، صارت مالطا مركزاً لجمعية المرسلين الكنسية، ومنها انطلقت لبلاد الشام ومصر، لعدة أسباب هي: أولاً، منافسة الكنيسة الكاثوليكية، وخاصة نشاط مجمع نشر الإيمان الإرسالي. ثانياً، موقف بريطانيا من حروب نابليون في الشرق، وفضلها في دحره مما شجع المرسلين على اتّباع خطوات الجنود، فصار حوض البحر الأبيض المتوسط منطقة نفوذ للمرسلين. ثالثاً، حماسة مرسلي جمعية المرسلين الكنسية للاتصال بالكنائس الشرقية واطلاعها على التعاليم الإنجيلية، لمزيد من التفصيل ينظر: عاصم حاكم عباس، الإرساليات المسيحية في إيران خلال العهد القاجاري 1795- 1925، أطروحة دكتوراه، غير منشورة مقدم إلى مجلسة كلية التربية، جامعة القادسية 2008. ص116.

(1) Stock, E., History of the Church Missionary Society, Vol. I, London: CMS 1899, p 226.

(2)Padwick, C., Temple Gairdner of Cairo. London: SPCK 1929, p 158

(3)Ibid. p263.

(4)Ibid. p264.

لقلة أعداد البروتستانت في الولايات العربية، رفضت السلطات العثمانية الاعتراف بهم كملة، لكن خشيتها وقوع اضطراب طائفي، ونتيجة الضغوط البريطانية فقد استطاع السفير

البريطاني في استانبول سترافورد كاننغ Sir Strafford Canning الحصول على مرسوم عثماني بالاعتراف بالملة البروتستانتية في تشرين الأول1850 ، برغم من ان نشاط جمعية مرسلي الكنيسة في مصر قد بداء منذو سنة 1819 عند وصـول وليم جويت W.Jowett،وما أن تعلم اللغة العربية وأجادها حتى بداء بتبشير بين المسلمين وخذا يقوم بتوزيع منشوراته باللغة العربية تحت عنوان (البشائر الأربـع) مزيد من التفصيل ينظر: احمد حامد ابراهيم القضاة، نصارى القدس، دراسـة في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت،2007، ص 128.

(5)Ibid. p264

(6)G3/E/0/1925/15 CMS Archives. University of Birmingham, p23

ما بين 1925 و 1947 ، ومائة وتسعة وسبعين شخصا عمل في الإرسالية البريطانية في مصر، ومئة وثلاث سبعين منهم من الكنيسة القبطية، لمزيد من التفصيل ينظر:

CMS Overseas Division Asia 1935-1959, 174/12. CMS Archives. University of Birmingham.p12

(7)Letter from Bishop Gwynne to the Most Revd Foss Festcott, Metropolitan of India, 29th April, 1940. Bundle 92A. CMS Local Oct 1939-1950. p45-48 Diocesan Archives, Cairo.

(8) Padwick, C.E. Temple Gairdner of Cairo, London: SPCK 1929. p 285.

(9) Letter from Bishop Gwynne to the Archbishop of Canterbury 13th August 1940. Archbishop's Correspondence 1921-1950 Box File 15 Diocesan Archives, Cairo. P17

(10) Interview with Morrison, S.A. 1947, 174/12 AS 35-49 G2 E1 1946-1948. C.M.S. Archives. Birmingham University Archives.p31.

(1)Letter from Revd H.C. Gurney, C.M.S Secretary in Egypt from May 1952, to C.S. Milford 21st April, 1953. AS 59 G2 E1 December 1951-November 1954. Birmingham University Archives. P10.

(2) McLeod Campbell, J. Christian History in the Making. London: The Press and Publications Board of the Church Assembly, 1946. pp 12-34

(3)Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1936, G3 AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham

University Archives. P4.

(4) Ibid

(*) جمعية المجلس الأمريكي لمديري الإرسالية الخارجية ـ الأمريكان بورد:

American Board of Commissioners for foreign Mission

أُسّست عام 1810 في الولايات المتحدة الأمريكية جمعية المجلس الأمريكي لمديري الإرسالية الخارجية ـ الأمريكان بورد ـ وهي،" أقدم جمعية إرسالية في الولايات المتحدة. وانخرطت عدة كنائس بروتستنتية أمريكية في عضوية الأمريكان بورد. وتوجه مرسلو الجمعية الأوائل للعمل في الهند عام 1812، "ولكن منذ البداية لفتت المشرق العربي انتباه مرسلي الجمعية، فأوفدت الجمعية مُرسَلين عام 1819 للعمل في بلاد الشام ومصر، هما بليني فيسك (Pliny Fisk) وليفي بارسونس (Levy Parsons). وكانت مهمتهما دراسة المنطقة لمعرفة مدى ملائمتها في تأسيس الإرساليات تبشيرية، لمزيد من التفصيل ينظر: عاصم حاكم عباس، المصدر السابق، ص 179.

(5) Ibid, P.78.

(6) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1937, G3 AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives. P76.

(7) Letter to Bishop Allen from the British Ambassador 5th July 1949. Diocesan Archives, Cairo. P 54.

(8) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1938, G3 AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives. P19.

(9) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1936, GS AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(20) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1937, GS AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives. P101.

(21) Morrison, S.A., 11th April 1951. C.M.S. Overseas Division 1935-1959. AS 69 G2 E1 1950-1951. CMS Archives, Birmingham University Archives. P45.

(22) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1950, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives. P29.

(23) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1951. ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives. P 126.

(24)Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1949. ASW AL 1940-

(31) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives. P7.

(32) Hillman, J.J. Letter to Milford, C.S., 6th September 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives. P 53.

(33)Milford. C.S. Letter. Ist November 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives. P173.

(34)Warren, M. Memo 2nd November 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives. P58.

(35) C.M.S. News Release 4th November, 1956. AS 59 G2 E1 955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives. P27..

(36) Letter from Jesse Hillman to Max Warren, 17th March 1956. CMS Overseas Division, 1935-59. AS 59 G2 E1 1955-1959. Birmingham University Archives p14.

1949. CMS Archives, Birmingham University Archives. P87.

(25)Allen, G. Letter to Warren, M. 22nd November 1951. AS 59 G2 E1. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(26)Allen, G. Letter to Warren, M., 13th December, 1951. AS 59 G2 E1. CMS Archives, Birmingham University Archives. P36.

(27) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives. 56.

(28) Milford, C.S. Letter to Gurney, H.C. 4th June 1953. 182/1 AS 59 G2 Eg5. CMS Archives, Birmingham University Archives. P97.

(29) Gurney, H.C., letter to C.M.S. London, 20th March, 1954. AS 59 G2 E1 December 1951-November 1954, C.M.S. Archives, Birmingham University Archives. P41.

(30) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives . p17.

(37) Ibid

المصادر:

الوثائق المنشورة

تقارير المبشرين ورسائلهم:

(1) Allen, G. Letter to Warren, M. 22nd November 1951. AS 59 G2 E1. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(2) Allen, G. Letter to Warren, M., 13th December, 1951. AS 59 G2 E1. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(3) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS

(4) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1937, G3 AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(5) Letter to Bishop Allen from the British Ambassador 5th July 1949. Diocesan Archives, Cairo.

(6) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1938, G3 AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(7) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1936, GS AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(8) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1937, GS AL 1935-1939. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(9) Morrison, S.A., 11th April 1951. C.M.S. Overseas Division 1935-1959. AS 69 G2 E1 1950-1951. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(10) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1950, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(11) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1951. ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(12) Morrison, S.A. Annual CMS Letter 1949. ASW AL 1940-1949. CMS Archives, Birmingham University Archives. . .

(13) Milford, C.S. Letter to Gurney, H.C. 4th June 1953. 182/1 AS 59 G2 Eg5. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(14) Gurney, H.C., letter to C.M.S. London, 20th March, 1954. AS 59 G2 E1 December 1951-November 1954, C.M.S. Archives, Birmingham University Archives.

(15) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives

(16) Hillman, J.J., Annual CMS Letter 1952, ASW AL 1950-1959. CMS Archives, Birmingham University Archives.

(17) Hillman, J.J. Letter to Milford, C.S., 6th September 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives.

(18)Milford. C.S. Letter. Ist November 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives

(19)Warren, M. Memo 2nd November 1956. AS 59 G2 E1 1955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives

(20) C.M.S. News Release 4th November, 1956. AS 59 G2 E1 955-1959. CMS Archives. Birmingham University Archives.

(21) Letter from Jesse Hillman to Max Warren, 17th March 1956. CMS Overseas Division, 1935-59. AS 59 G2 E1 1955-1959. Birmingham University Archives.

(21) G3/E/0/1925/15 CMS Archives. University of Birmingham.

(22)Letter from Bishop Gwynne to the Most Revd Foss Festcott, Metropolitan of India, 29th April, 1940. Bundle 92A. CMS Local Oct 1939-1950. Diocesan Archives, Cairo.

(23) Letter from Bishop Gwynne to the Archbishop of Canterbury 13th August 1940. Archbishop's Correspondence 1921-1950 Box File 15 Diocesan Archives, Cairo.

الرسائل الجامعية:

- عاصم حاكم عباس، الإرساليات المسيحية في إيران خلال العهد القاجاري -1795 1925، أطروحة دكتوراه، غير منشورة مقدم إلى مجلسة كلية التربية، جامعة القادسية 2008.

المصادر باللغة العربية:

- احمد حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس، دراسة

في ضوء الوثائق العثمانية، بيروت،2007.

المصادر باللغة الانكليزية:

- McLeod Campbell, J. Christian History in the Making. London: The Press and Publications Board of the Church Assembly, 1946.
- Padwick, C., Temple Gairdner of Cairo. London: SPCK 1929.
- Stock, E., History of the Church Missionary Society, Vol. I, London: CMS 1899

.

Abstract

This paper will examine the involvement of the Church Missionary Society (hereafter referred to as CMS) in Egypt. In particular it will look at the way in which the mission related to the wider church and to British imperialism in Egypt.

The origins of the Anglican Church in Egypt are twofold. The first was the development of trade between Western Europe and the Levant. The British demand for cotton in the nineteenth century brought a growing number of businessmen to Egypt. The opening of the Suez Canal in 1869 gave a further boost to trade in Egypt as well as increasing its strategic importance. It was the British mercantile expatriate community which built the first Anglican Churches in Egypt. They saw them as the Church of England in Egypt, as part of their tribal identity, a bit of the baggage of Empire that travelled with them wherever they went. Their church was a club, like the Turf Club, from which members of other tribes were generally excluded. In the Second World War the club really came into its own as thousands of Allied troops found solace in the newly built All Saints' Cathedral in Cairo.